الوحدة في الحضارة العربيّة

د. عفيف بهنسي
المديرية العامة للآثار والمتاحف



عندما نتحدث عن الحضارة فان المعنى يشمل آثار الانسان في مجموعة بشرية معينة نطلق عليها اسم الامة . فالحضارة عطاء قومي له شخصية وطابع الامة التي ينتسب اليها، سواء أكان هذا العطاء معماريا أو تشكيليا أو فكريا أو عقائديا .

ان حصيلة هذا العطاء عبر العصور أو عبر الحضارات المتعاقبة يشكل ما يسمى بالتراث وعلى اختلاف الظروف التاريخية واختلاف التأثيرات الطارئة التي تسببها التحولات السياسية فان هذا التراث يرتبط برباط قوي بمعنى الامة . بل أن خصائص الامة وشخصيتها أصبحت تعرف من خلال مفردات هذا التراث الذي يتجلى على سطح أو باطن رقعة معينة من أرض كانت في فترة معينة مهدا لامة من الامم .

ولسنا من القائلين بالتفوق العنصري لاية أمة من الامم ، ولكن لا بد من القول بأن لكل أمة خصائص متميزة تتجلى في تاريخها وحضارتها .

وتتركب شخصية كل أمة ليس من التكوين العرقي لافرادها ، بل من مجمل عطاءات هذه الامة وعقائدها ، فالدين والفن والعلوم والسياسة والتركيب الاجتماعي هي صورة الامة المشخصة. ومن هنا كان التلازم قويا بين الامة والحضارة ، فالامة قوية وعظيمة ليس بنقاوة سلالاتها ولكن باتساع وعمق حضارتها وثبات هذه الحضارة .

فلقد كانت الحضارة المصرية عظيمة لان الطبيعة والانسان اندمجا في صورة خالدة تجسدت في أوابد راسخة تتحدى الفناء ... وكانت الحضارة الرافدية والسورية خالدة لانها مستمدة من قوة الانسان المؤمن بالمستقبل المتمثل بالآلهة السماوية .. أما الحضارة الاغريقية والرومانية فلقد كانت عظيمة بمقدار ماكان السبب عظيما، فهي نتيجة دائمة للسؤال الفلسفي والبحث المنطقي أو نتيجة للرخاء المادي،ولقد زالت بزوال الاسباب العارضة ، واذا استمر شكلها فلان ورثة الفكر الاغريقي كانوا يبحثون عن ملجأ لافكارهم المكرورة والموروثة عن سابقيهم .

وهكذا فان الحضارة العربية قد خضعت لفكرة

المصير وليس لمبدأ العلية • وليست فكرة المصير بعيدة عن مفهوم الحضارة في العصر الحديث ، بل هي تأخذ شكلا أكثر وضوحا ، ذلك أن المصير بتفسيره الحديث هو وحدة الفرد مع الكون • أي أن المصير ليس الكون كما هو ، بل هو كما يمكن أن يكون بفعل الانسان ، لذلك فان المصير هو عمل ابداعي مستمر ، وبهذا المعنى يمكن أن نفسر الحضارات والحضارة العربية بصورة خاصة والتي قامت على موقف الانسان من الكون وما وراء الكون وعلى التعامل مع هذا الكون عن طريق الحدس والروح وليس عن طريق المنطق الرياضي والقوانين العلية ، انه يتعامل مع الكون على أساس أن الفرد هو جوهر الكون لان الفرد هو الزمان ، وكل ما عداه هو المكان أو ما يقرب من المكان ، حتى الحيوان فانه يخرج عن معنى الزمان لانه لا يدرك دوره في الحياة • ومع ذلك فان الانسان يخشى ويهاب الزمان الحقيقي ، والزمان بذاته ، لانه العلامة الوحيدة لتجاوز المقدرة البشرية • ولذلك فان الانسان يسعى وراء المثل الاعلى المتجسد بمفهوم الرب لكي يتخطى تحدي الزمان• ونستطيع القول أن الحضارة العربية منذ نشوئها في بلاد الرافدين وحتى اليوم ، انما ترتبط بمثل أعلى ، أو بمعنى آخر ، هي من صنع الانسان الذي يسعى وراء المثل الاعلى الذي بتصوره من خلال الاله في السماء ، والذي يسمو على كل قوة وارادة • وهو فوق الزمان والمكان وعلى ذلك فان المصير ذاته مرتبط بالله أي بالمثل الاعلى ، والانسان في الحضارة العربية ما هو الا القوة التي تنفذ ارادة الله ، ولان الله قوة سرمدية خالدة غير قابلة للفناء والضعف ، فاننا نرى الحضارة العربية تتسم بصفة الاستمرار والمقدرة الخارقة على البقاء ، على الرغم من جميع ظروف التخلف والجمود ، ويكفي أن تكون هذه الحضارة ، أقدم حضارة وجدت على الارض ، وأطول الحضارات عمرا ، وأقدرها على التغلب على عوامل الانحطاط والاندثار •

ومن حسن حظ الامة العربية أنها تحتفظ بتراث حضاري كشفت عنه الآثار المعروفة أقل ما يقال فيه أنه يمتاز عن غيره بالامور التالية :

أولا ـ الاصالة :

تمتاز الحضارة العربية بارتباطها بأمة أصيلة ما زالت قائمة حتى اليوم ومنذ بداية التاريخ ، محتفظة بخصائصها وتقاليدها وعقائدها ولغتها وبملامحها العرقية •

فلقد سكن بلاد الرافدين وسورية شعوب عربية أطلق عليها اسم الاكاديين والبابليين والعموريين والاشوريين ، ثم الاراميين والمناذرة والغساسنة والعرب المسلمين•وجميعهم من أرومة واحدة لا مجال للطعن فيها ، وهم يتكلمون لغات اذا لم تكن واحدة ، فهي أشبه باللهجات ، فيها من الكلمات الموحدة أكثر ما بينها من الكلمات المختلفة •

وهذه اللغات او اللهجات ، اذا كتبت بالخط المسماري أولا ، فاننا نرى تطورها عبر الكتابة الاوغاريتية الى الكتابة الآرامية ، والنبطية المصدر الاساسي لكتابتنا العربية القائمة حتى الآن ، وقد بلغت من العمر حوالي ألفي عام على الاقل • واذا دققنا في اسلوب العمارة والفن ، فاننا

نرى أن تقاليد الفن الرافدي استمرت قائمة حتى يومنا هذا مؤثرة ايضا في الفنون الساسانية والبيزنطية ذاتها ، التي كثيرا ما تردد تأثيرها على الفن الاسلامي ، دون أن يخطر في ذهننا الحديث عن مصادرها العربية الرافدية القديمة ٠

أما العقيدة فلا بد من القول أن العبادة السماوية كانت قائمة منذ عهد الاكاديين في الالف الثالث ، وان ابراهيم الخليل الذي ولد في اوركان قد نقلها الى البلاد المقدسة واصبحت اساسا للعبادة التوحيدية في الديانات كلها ٠

ثانيا ـ القدم :

لقد كانت آثار الرافدين ومصر فاتحة التاريخ ، وان الحضارة التي وصلت اليها هذه المنطقة العربية كانت من الضخامة والتقدم حتى أننا نعجز اليوم عن مضاهاتها في غناها وتنوعها والتفنن فيها ٠

ولقد كان على الغرب ان ينتظر آلاف السنين حتى يقيم ما يسمى بالحضارة الاغريقية الرومانية التي تجمدت في قوالب نظرية وهندسية لم تستطع الخروج عنها والتطور الى ابعد منها حتى القرن الماضي ٠

ويكفي القول أن الحفريات الاخيرة التي اجريت على ضفاف الفرات في سورية قد أثبتت أن التجمع السكاني البشري وجد منذ الالف التاسع قبل الميلاد ٠ فلقد عثر على مستوطن مبني من اللبن المدعم بالخشب في موقع المريبط ، وتبين أن جدران هذه المساكن كانت مطلية بالفريسك الملون ، وعثر في الانقاض على تماثيل صغيرة تمثل آلهة الخصب ، وعلى أواني من الطين المشوي ٠ وهذا يعني أن العبادات كانت موجودة منذ أحد عشر ألف عام ، وان صناعة الطين المشوي كانت قائمة قبل التاريخ ، وان ثمة فنونا على غاية من الروعة الابداعية كانت قائمة ، كل هذا يدل على أن هذه الارض تبقى أكثر مناطق العالم عراقة وقدما ٠

ثالثا ـ وحدة التاريخ :

ان هذه الحضارة الاصيلة العريقة ، تمتاز بوحدة عبر الزمان مهما اختلفت العصور ومهما تباعدت المناطق ، ويكفي القول ان المنشآت التي تنتشر اليوم في شمالي سورية وهي قباب عالية من اللبن ، هي نفسها بشكلها ومادة انشائها ، القباب التي كانت تقام قبل خمسة آلاف عام ، كما ان مفهوم البيت بانفتاحه الداخلي ، ومفهوم الزيقورة الذي تطور الى مئذنة وأساليب التغطية التي تطورت فيما بعد بشكل عقد أو قوس أو قبة ، أو مفهوم التمثال الرمزي الذي وجدناه عند الاكاديين والاموريين والكنعانيين ، كل هذا يعطينا الدليل على الوحدة التراثية الواضحة بين الآثار على اختلاف اساليبها التي تنتسب الى عصور النطوف أو عبيد أو تل حلف أو الورقاء أو الى عصور البرونز اللاحقة ٠

رابعا ـ التشكل الكاذب :

ان هذه الحضارة تحتوي شواهد وآثار كانت قد وفدت مع السلطة المحتلة أو الحاكمة ، وقد أدى هذا الاحتواء الى تطعيم الفنون والعمارات المستوردة بالشخصية القومية ، نرى ذلك واضحا

في الحضر (العراق) وتدمر (سورية) وفيلكا (الكويت) وفي معابد دندرة وفيلة (مصر) حيث ظهر التأثير الهلنستي والروماني **بقوة السلطة** مكونا تشكلا كاذبا ، ولكنه لم يلبث أن أخذ طابع الشخصية المحلية التي تميزة عن مفهومه الكلاسيكي المعروف ٠

خامسا ـ وحدة الاسلام :

لقد اعطت هذه الحضارة العريقة خصائصها الى الحضارة العربية الاسلامية التي استطاعت في فترة وجيزة جدا أن تصل الى أعلى عهود الازدهار والى أن تكون شخصية جديدة تأخذ مبادئها من خصائص الامة العربية ، ومن معاني الدين الاسلامي ثم تشع على أكبر رقعة تمتد من الغانج الى الاطلسي ، تدين بدين واحد وتنتسب الى مفاهيم فنية واحدة ، وتتغذى من مصدر قومي عربي ، فلقد وصل الفن الاسلامي الى أسمى آياته في بلاد فارس وبلاد الاندلس ، حاملا معه هوية الامة التي رفعت لواء الاسلام ونشرته بلغتها وخطوطها التي ترسخت في كل مكان ٠

سادسا ـ وحدة الارض :

ان هذا التراث الحضاري الذي تكشف عنه الآثار قد نشأ على أرض محددة تمتد من الرافدين الى النيل ، وهو اذ تجلى بشخصيتين متميزتين ، الشخصية الرافدية ـ والشخصية المصرية القديمة ، فانما يرجع ذلك لاختلاف الظروف الجغرافية والطبيعية فحيث توجد مقالع الغرانيت وتزدهر السهول بخير النيل العظيم ، يعتمد سكان الرافدين على الطين لفقدان الحجر ويتعرضون الى الطوفان الساحق كل عام ٠ ولقد كان لهذه الظواهر اثرها على العقيدة ، فالناس في العراق القديم يراقبون السماء ويستجلون الانواء ويسبحون بحمد الكواكب التي تكشف لهم اسرار الغيب ، أما الناس في مصر فيتأملون النيل الذي يغمرهم بخيرات ثابتة فيرون فيه حبات دموع ايزيس باكية على زوجها ازريس ٠

وتتأثر العبادات بهذا الواقع الطبيعي ، كما تتأثر العمارات والفنون مما يكون شخصيتين متميزتين ٠ على ان اللقاء لم ينقطع بين هذه وتلك ، سواء عن طريق الحروب أو عن طريق المصاهرة وتبادل الهدايا والتجارة ، وتشهد على ذلك اللقى الكثيرة من جعران وأثاث وتماثيل مصرية عثر عليها في سورية كما تؤكد ذلك كتابات ورسوم عثر عليها في واجهات وجدران المعابد المصرية ٠

كما يشهد على ذلك التقارب في الاسلوب الفني الذي نراه واضحا في كثير من الاعمال القديمة أو التأثر الواضح بالفن المصري الذي كانت سورية وسواحلها الغربية حيث استمد الاوغاريتيون والفينيقيون الكثير من مظاهر الفن المصري ٠ وكانوا نقلته الى غيرهم من الشعوب ٠

سابعا ـ وحدة اللغة :

اذا كان الاسلام ذروة من ذروات الحضارة العربية ، فان هذه الحضارة كانت قائمة منذ أن كان الوجود العربي ، بل منذ أن انطلق اسلافنا العرب من جزيرتهم العربية الى بلاد الرافدين

سعيا وراء الماء والكلأ فأنشأوا فيها الحضارات المتتابعة التي ما زالت آثارها قائمة حتى الآن ، فالحضارة العربية لم تبتدىء في القرن السابع بل هي موجودة منذ الالف الثالث ق٠م واستمرت تحمل جميع خصائص الامة العربية حتى يومنا هذا ٠ وتتجلى شخصية هذه الحضارة الموحدة في عاملين : عامل وحدة اللغة وعامل وحدة العقيدة ٠

فلقد تبين بعد أن تمكن راولنسون من حل رموز حجر بهابفستون أن الكتابة المسمارية قد استخدمت للغات أخرى غير اللغة السومرية ٠ واذا كانت هذه اللغة ما زالت مستقلة ، فان اللغات الاخرى التي كتبت بالمسمارية كالاكادية والآشورية والعمورية والاوغاريتية لم تكن في الواقع الا لهجات للغة واحدة استمرت شائعة عند الكنعانيين والآراميين والاحباش ، وتعتبر اللغة العربية الحالية ، أكمل هذه اللغات وهي اللغة المقياس لتحديد العلاقة بين هذه اللهجات التي تختلف فيما بينها ببعض المفردات وتتقارب في جذر الافعال وصيغ الماضي والحاضر والضمائر والاعداد وأسماء اعضاء الجسم ، ولقد استطاع الاوغاريتيون والفينيقيون ابتكار الابجدية ، وهي مؤلفة من اثنين وعشرين حرفا مسماريا ، ثم انتقل الحرف من الشكل المسماري الى الشكل اللين ولقد سرت اللغة الآرامية في بلاد آشور وطغت على اللغة التي كانت شائعة وهذا ما دعا الى تسمية اللغة الآرامية باللغة السريانية نسبة الى آشور٠ ثم اصبحت الآرامية لغة الهلال الخصيب كله والممتد من رأسين البصرة شرقا وطيبة في مصر غربا ٠ واستمرت هذه اللغة الى عهد المسيح وما زالت قائمة حتى الآن في بعض المدن والقرى العراقية والسورية والمصرية ولكن بلهجات مختلفة ٠ واللغة الآرامية هي تطور للغة الاكادية والعمورية وقريبة من اللغات الكنعانية وهي مرحلة الى اللغة العربية الحالية ، بل ان كتابتها هي أصل الكتابة العربية المعروفة ٠

وعندما ظهر الاسلام وتحقق التوسع العربي الكبير انتشرت اللغة العربية في كل مكان كان العرب فيه هم السادة ، بل لقد استمرت مع استمرار الاسلام والعروبة في فارس والهند وأذربيجان وتركيا وفي بلاد الاندلس ٠ فكان انتشار اللغة العربية رمزا لانتشار الثقافة العربية ٠

ولقد تغلب العرب على الفرس في حملات ضمت أربعين ألفا من الرجال والنساء والاحداث واحتلوا دولة الفرس وسلطانهم وقصورهم وحلت العروبة محل الفارسية وأصبحت اللغة العربية هي السارية وأصبحت لسان الادباء والعلماء ولغة الثقافة ، بل هي لغة أكثر العوام ٠ وعلى الرغم من ظهور النزعة الفارسية في عهد العباسيين وظهور قوى فارسية معادية كالقرامطة ، فان الاعلام من الفرس كانوا يفخرون بانتسابهم الى العربية وما كانوا يكتبون ويؤلفون الا بلغة القرآن ، وأصبحت العروبة كما يقول ايتنهاوسن مرادفا للحضارة التي نشأت في الامبراطورية الاسلامية الواسعة في القرون الوسطى وكانت في البداية قوة عسكرية وسياسية في الجزيرة العربية والتي ارتبطت الى حد كبير برباط اللغة العربية ، (لغة الدين ، والادارة ، والعلم ،

والشعر) ، وهذه الحضارة لم تتكون استنادا لعصبية قومية ، وانما بوجود وعي واضح بين المسلمين في العصور الوسطى على اختلاف قومياتهم،وهو وعي مؤكد بانتمائهم الى حضارة عربية قدسية المنبع ، وربما هذا الامر هو الذي عبر عنه العالم الكبير البيروني (المتوفى ١٠٤٨م) والذي جاء من منطقة متاخمة هي خوارزم (التي تقع اليوم في جمهورية قرقول باك السوفياتية المتمتعة بالاستقلال الذاتي) والذي قال : ان ديانتنا وامبراطوريتنا عربيتان وتوأمان ، الاولى تحميها قوة الله ، والثانية تحرسها يد السماء فلطالما حاولت طوائف من الرعايا أن تتألف سوية لاضفاء الصفة غير العربية على الدولة لكنها لم تنجح في هدفها ذاك ٠ لقد كانت اللغة العربية بالنسبة له هي لغة الدين والعلم ، وهي أعظم وسيلة للتماسك ، وقد أعرب عن غيرته على هذا العنصر الحيوي في حضارته بقوله « من الافضل له أن يشتم بالعربية من أن يمتدح بالفارسية » ولقد استمرت الكتابة العربية سارية في اسبانيا بعد نزوح العرب عنها وكان المسلمون المغاربة (الموريسك) يتداولون هذه الكتابة في نطاق الادب والتعاليم الدينية وقد اطلق عليها اسم الادب الاعجمي أو الجبيادو Literatura aljamiado ، ولقد عثر على مخطوطات كثيرة جدا في أرغن وهي محفوظة حاليا في مكتبة في مدريد ، وتضم هذه المخطوطات وثائق قانونية واشعارا في مدح الرسول وصلوات وأساطير وقصصا كتبت كلها بحروف عربية ولكن بلغة اسبانية، وترسخت المصطلحات العربية في اللغة الاسبانية وما زالت حتى اليوم ، فلقد ألف دوزي وانغلمن معجما للالفاظ الاسبانية والبرتغالية ذات الاصل العربي ويذكر سيديو Sédillot « أن اللهجات السائدة لولاية اوفرن وولاية ليمون الفرنسيتين مليئة بالكلمات العربية، وان اسماء الاعلام فيهما ذات مسحة عربية » ٠

ثامنا ـ وحدة العقيدة :

أما وحدة العقيدة فانها تتجلى في العبادة التوحيدية التي وجدت جذورها الاولى منذ بداية وجود الرافدين ٠

منذ الالف العشرين قبل الميلاد تعرضت الجزيرة العربية لتغيرات مناخية حبست عن أجزاء خصبة منها المطر ، ثم توالت الفترات الجافة على هذه المنطقة مما أدى الى هجرات متواصلة نحو الشمال لعل أحدثها هجرات قبائل شمر وعنترة، وكانت قبلها قد نزحت قبائل أخرى عرفت بالمناذرة والغساسنة وقبلهم الانباط ، والتي شكلت حضارات مازالت آثارها واضحة في الحيرة (العراق) وبصرى (سورية) والبتراء (الاردن) ٠ على أن الهجرة الاكثر أهمية كانت في الالف الثالث ق٠م حيث استطاع الاكاديون الذين نزحوا من أطراف الجزيرة العربية الشرقية الى جنوبي وادي الرافدين ، حيث وجدوا شعبا أطلق عليه اسم سومر ، كان قد وصل الى مستوى جيد من الحضارة منذ منتصف الالف الرابع قبل الميلاد ، فلقد عرف الزراعة والرعي ، وعرف صناعة المعدن والتجارة مع مصر ووادي السند ، ولقد عرف السومريون الكتابة التي اطلق عليها اسم المسمارية وهي حفر على ألواح الطين بمسمار كما عرف السومريون التقويم والحساب والموازين وأقاموا المعابد على شكل صوامع

(زيقورة) ذات طبقات في أعلاها حرم لاله الهواء أنليل ولقد عثر على آثار هذه الزيقورة في نيبور ٠

وما زالت الابحاث جارية للتأكد من هوية السومريين وتحديد منشأهم ، وتفيد الابحاث الاخيرة التي نتجت عن حفريات في المنطقة الشرقية في العربية السعودية عن احتمال هجرات في الالف السادس ق٠م أي في نفس العصر الذي ازدهرت فيه حضارة عبيد في جنوبي العراق ولقد استطاع الاكاديون فيما بعد السيطرة على بلاد سومر بقيادة صرغون الذي وصل بتوسعاته من الخليج العربي الى شواطيء البحر الابيض المتوسط وقام حفيده نرام سين بمتابعة فتوحاته في الفرات الاعلى ولعل صرغون كان أقدم زعيم عربي أكادي استطاع ان يقيم حضارة واضحة أصبحنا نعرف عنها الكثير من خلال الرقم والاختام والحفريات الاثرية ، وكان مركزها الاساسي مدينة أور ٠ وفي مناطق مختلفة من بلاد الشام ، كانت شعوب عربية تعيش منذ الالف الخامس ق٠م أطلق عليها فيما بعد اسم العموريين (أي سكان الغرب) ولقد أثبتت الحفريات الاخيرة في تل الحريري (ماري) وفي تل مرديخ (ابيلا) وفي تل عطشانة (الالاخ) وفي عمريت وغيرها على حضارة متقدمة وبعيدة المدى ولعل المكتشفات المقبلة ستبين حقائق مدهشة ، ففي عام ١٩٧٤ عثر الاثري مورتغارت في تل خويرة (شمالي سورية) على كتابة أبجدية ترجع الى الالف الثالث فاذا تأكد ذلك فان هذا سيقدم الدليل على عراقة الحضارة السورية القديمة مما يجعلها تسبق الحضارة السومرية ٠ ثم ظهرت دولة بابل في منتصف القرن الحادي والعشرين والتي أنشأها العرب العموريون أنفسهم وكان حمورابي ١٩٤٨ ق٠م ثاني حاكم عربي عظيم بعد صرغون اشتهر بطول حكمه (٥٧ عاما) وبعهده العادل الذي قام على قوانين موضوعة ما زالت مصدرا لجميع القوانين حتى اليوم ٠

ومنذ منتصف الالف الثاني ق٠م أقام الآشوريون دولتهم شمالي الرافدين على أساس حربي دفاعي لصد عدوانات البابليين والحثيين والميتانيين ، وكان الآشوريون من العرب الذين نزحوا من الجنوب واختلط بهم الآراميون العرب الذين كانوا قد انتشروا في أنحاء سورية وبخاصة في الفرات الاوسط وفي الساحل السوري ٠ وكانت المدن العربية الكنعانية قد اشتهرت بملاحتها الواسعة التي قامت على صناعة السفن الضخمة، فانتقل التجار الفينيقيون الى شواطيء بعيدة وسيطروا على طرق الملاحة في البحر الابيض المتوسط وكانت لهم مراكز في قبرص وصقلية وسردينيا وكورسيكا وفي مالطا واسبانيا وعلى طول الساحل الشمالي الافريقي وكانت مدينة قرطاج في تونس أهم مركز فينيقي أو بونيقي كما هو معروف في شمالي افريقية ٠ كما وصل الفينيقيون الى شواطىء الخليج العربي وما زالت قائمة مدن تحمل اسمها الفينيقي القديم ٠ ومن الفينيقيين أخذ الاغريق آلهتهم واستمدوا من فلاسفتهم وادبائهم ومشرعيهم وعلمائهم ويذكر هيرودوت أن الفينيقيين هم الذين اكتشفوا ليبيا عندما طافوا حول افريقيا عام ٦٠٠ ق٠م ٠ ويتحدث المؤرخون عن رحلة حانون القرطاجي في غربي افريقية ٠

ولقد اتجه الرافديون القدماء الى السماء يراقبون الكواكب ويقدسونها ويستجلون اسرار الكون من خلالها وكانت الزيقوراتصوامع يسلكها الناس صودا على طبقات كل طبقة تمثل كوكبا مقدسا يتدرج في الاهمية حتى يصل الى القمة حيث يمثل الاله شمش أي الشمس وهناك يقف المتعبدون لتقديم الاضاحي الى السماء آنو وهي أقدم اشارة للعبادة التوحيدية في الوجود ٠ ولقد كان الكنعانيون في رأس الشمرة وفي المقاطعات الفينيقية والبونيقية (شمالي افريقية) يعبدون الاله (ايل) وهو الاله العلي العظيم اله الغيث والمطر والخصب القادر على كل شيء وارادته فوق كل ارادة وهو يحمي البشر من الشر والقحط ٠

ويمارس الاوغاريتيون عبادة هذا الاله ايضا كما أن الآراميين الذين عاشوا في داخل سورية وعلى ضفاف العاصي وفي الجبال كانوا قد جعلوا (ايل) في مرتبة سامية بين الآلهة ٠

ولقد اتخذ الهكسوس وهم منالعمالقة العرب البائدة الاله (ايل) ولعلهم نقلوا ذلك الى مصر حيث تبناه أخناتون على شكل اله الشمس آتون الواحد الرحيم ويؤكد ذلك أن ايل عند السوريين القدماء كان مقره الشمس في حالة الغروب وكان ايل اقرب الى مفهوم اله ٠ ولقد آمن الآشوريون بالههم التقليدي آشور وهو باعتقادهم اله الشمس ايضا ولقد رمزوا اليه بصورة الشمس المجنحة ، وكانوا قد أخذوا ذلك عن الحثيين الذين أخذوه بدورهم عن مصر ، كما أخذوا اله الحب عشتار عن البابليين ٠

□ □